تقديم ترجمة الكتاب

يتناول هذا الكتاب بالدراسة والتحليل عالم ما بعد الحرب الباردة، ويتعرض المؤلف لبيان مدى الحاجة إلى عالم جديد وكيف يمكن أن يتحقق ذلك، ويصف ديناميكيات العالم الجديد الذى يتشكل، كما يقترح الحدود التى يلتزم بها هذا العالم، مبيناً الجوانب المختلفة التى تتعلق بزعامته وتنظيمه.

إن مؤلف هذا الكتاب، مفكر أمريكى مرموق، له عشرات الدراسات والكتب فى مختلف مجالات العلاقات الدولية والتنمية، ويعمل من خلال هذا الكتاب، بالذات، على اقتراح برنامج عملى ونصائح محددة، للاستفادة من الفرصة التاريخية التى يمر بها العالم، أثر انتهاء الحرب الباردة.

وقد قدّم لهذا الكتاب، روبرت ماكنمارا، الذى سبق أن تولى منصب رئيس شركة فورد للسيارات، كما تولى منصب وزير الدفاع الأمريكى، وكذلك تولى منصب رئيس البنك الدولى.

ويتولى المؤلف رئاسة الأكاديمية العالمية للعلوم والآداب، كما يتولى الرئاسة الشرفية لجامعة هاواى، وهو العميد المؤسس لمعهد هيوبرت همفرى للشئون العامة بجامعة مينسيوتا، حيث أصبح أستاذا بارزاً سنة ١٩٨٨ . كما سبق أن تولى سنة ١٩٥٦ عمادة مدرسة ماكسويل للدراسات العليا فى المواطنة والشئون العامة بجامعة سيراكيوز. وخلال الستينيات شغل كليفلاند منصب مساعد وزير الخارجية الأمريكى لشئون المنظمات الدولية أثناء رئاسة جون كينيدى، كما تولى منصب السفير الأمريكى لدى حلف الأطلنطى أثناء رئاسة ليندون جونسون، بالإضافة إلى أنه تولى رئاسة جامعة هاواى فى الفترة من ١٩٦٩ – ١٩٧٤ .

وبالنظر إلى خبرات كليفلاند العلمية والعملية البارزة، كان هذا المؤلف المهم الذى يتصف بالعمق والشمولية، وكانت الحاجة الماسة إلى نقله إلى اللغة العربية.

وقد تولى الترجمة، بهمة واقتدار، الدكتور/ جمال زهران الحاصل على الدكتوراه فى العلوم السياسية والمتخصص فى العلاقات الدولية، والذى يعمل حاليا أستاذاً مساعداً للعلوم السياسية بجامعة قناة السويس، وسبق أن شغل منصب وكيل كلية التجارة ورئيس قسم العلوم السياسية ببور سعيد، وهو من أبرز الباحثين العرب الواعدين فى مجال العلاقات الدولية، وقد أدرك بحسه ووعيه العميق أهمية هذا الكتاب. فتصدى لهذه المهمة الشاقة، وأتم ترجمته ليسهم فى إثراء المكتبة العربية فى العلوم السياسية عموما والعلاقات الدولية خصوصا.

ونرى من خلال الكتاب أن المؤلف، هارلان كليفلاند، يهتم بصفة خاصة بتحليل ما يجرى فى سياسات الأمن والتجارة والنقود والبيئة، على المستوى العالمى، ويوضح العوامل والقوى التى تسهم فى ذلك، ثم يضع خطوطاً عريضة لاستراتيجية شاملة، لما ينبغى عمله لاحتواء الصراعات، ومنعها من أن تتصاعد لتصل لمرحلة الحرب، وكذلك ما ينبغى لتنشيط المساومة فى مجال التجارة، ولمنع حدوث انهيار عصبى للنظام النقدى العالمى، ولمواجهة أزمة العدالة الكامنة، فيما يتعلق بالبيئة العالمية التى يسميها بالمشاع العالمى، وكيفية معالجتها.

ويبين كليفلاند أنه على الأمريكيين أن يقوموا بتعديل سلوكياتهم حتى يكون لهم دور قيادى فى عالم، لن يكون فيه لأية دولة أو حلف أو جنس أو طبقة، فرصة السيطرة المطلقة.

كما يرى كليفلاند أن عالم اليوم يشهد بروز ثلاثة تجمعات من الدول المتقدمة فى مجال المعلومات تتعاون فيما بينها، لتصبح نواة لناد مفتوح للديموقراطيات، ويؤكد أنه رغم انتهاء الحرب الباردة، فإن الحاجة لازالت قائمة لحلف الأطلنطى، وأنها ستظل

كذلك لسنوات عديدة قادمة، كما أن مصير أوروبا ومستقبلها لم يعد قاصراً على أوروبا فقط بل يرتبط بضمير العالم كله، ويشمل ذلك الأمن والاقتصاد العالمى جنباً إلى جنب مع التنمية والبيئة العالمية.

ويؤكد كليفلاند أن نادى الديموقراطيات ليس منظمة جديدة، لها مقر دائم وسكرتارية، بل هى كونفيدرالية للمهتمين، ومركز للمبادأة والمبادرة، وتعوُّد على التشاور، وأن على هذا النادي تقع مهمة تنشيط النظام الدولى والتكيف مع تعقيدات الحكم الدولى فى ظل عالم خال من القوى الإمبريالية العملاقة، وتساءل المؤلف عمن يقود وكيف يقود حيث لاتوجد دولة ولا عنصر، ولا مذهب، ولا «نظام» بالمعنى الدقيق لكلمة «نظام» يمكن أن يتولى ويتحمل المسئولية وينتهى إلى أن الولايات المتحدة هى وحدها الدولة المتاحة لتولى رئاسة اللجنة التنفيذية لنادى الديموقراطيات الذى يتولى مهمة المحافظة على النظام والاستقرار العالمى ويحقق التنمية والرخاء فى أرجاء العالم.

وبالطبع فإن ما يعرضه المؤلف يعبر عن وجهة نظر أمريكية تستحق التأمل والتفكير الجاد، وينبغى أن تؤخذ فى الاعتبار عند النظر فى المواقف والمصالح للأطراف الأخرى فى النظام الدولى، خاصة فى المنطقة العربية.

دكتور/ محمود إسماعيل

أستاذ ورئيس قسم العلوم السياسية

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة

مقدمة المترجم

من الموضوعات الشائكة أن يتحدث البعض عن المستقبل فى مجال العلاقات الدولية، فالمسألة تستدعى شحذ كل الأدوات العلمية فى مجال التحليل السياسى، فى هذا الفرع من فروع العلوم السياسية، بل تحتاج إلى جهود كثيرين، وفى تخصصات علمية مختلفة. فالعلاقات الدولية ليست بعدا سياسيا خالصا، بل هى بؤرة تتجمع حولها نشاطات عديدة سياسة واقتصادية وثقافية واجتماعية وحضارية وغيرها. كما أن البحث دائما يدور حول البديل لما هو قائم، فضلاً عن أن الباحثين يقعون أو يعيشون تحت تأثيرات واقعهم، وهذا ما يقود إلى التفكير فيما وراء المحسوس، أو بعبارة أخرى التفكير فى الخيال الواسع.

فالعالم عاش ومكث ما يزيد عن نصف قرن – منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية – تحت تأثير الحرب الباردة التى تزداد اشتعالا بعض الوقت، وتهدأ فى بعض الأوقات الأخرى، وهو ما كان يسمى آنذاك بالانفراج أو الوفاق. وعندما نحاول أن نحلق بخيالنا فى عالم ما بعد الحرب الباردة قبل أن تدخل هذه الحقبة فى الواقع العملى، فإن هذا يعد من الأعمال التى تسجل لأصحابها بغض النظر عن صوابها أو خطأها، عن اتفاقنا أو اختلافنا مع ما ورد فيها من أفكار. ولكن يبقى لأصحاب هذا التفكير، جهدهم العلمى، والذى قد يأخذ طابعًا أيديولوجيًّا معينًا، هو بالطبيعة محل خلاف.

وكتاب « ميلاد عالم جديد » لمؤلفه « هارلان كليفلاند »، من ذلك « التفكير المغامر » الذى حلق بنا فى عالم ما بعد الحرب الباردة، فى الوقت الذى عاش تحت تأثيرها، ومارس وظائفه فى آلياتها المختلفة عبر سنوات طويلة. بل هو نتاج لجهد جماعى لعدد من العلماء والتنفيذيين على مستوى العالم – ومنهم الأستاذ الدكتور حلمى

عبدالرحمن - وزير التخطيط المصرى الأسبق - والذى بدأ فى عام ١٩٨٦، (حيث لم تكن هناك بادرة بأن الحرب الباردة فى طريقها للزوال) . كما أن فكرة هذا الكتاب تتأسس على مدى إمكانية خلق المجتمع العالمى المؤسس على المعرفة، بديلاً للحرب الباردة بين أطرافه المهيمنة والمتصارعة. ولذلك فهو يتناول بالتحليل المتعمق سياسات الأمن الدولى والتجارة والمال والبيئة والتنمية والاقتصاد، والقيادة، ليخلص - فى النهاية، وعبر أحد عشر فصلا - إلى استراتيجية للعمل تنتشر من خلالها تكنولوجيا المعرفة والمعلومات، مبينة ما يمكن أن يتم فعله لاحتواء الصراع دون حرب، وتنشيط مفاوضات التجارة الدولية الحرة، والحيلولة دون انهيار النظام النقدى العالمى، ومحاولة تقويض أزمة اللامشروعية، بالإضافة إلى كيفية إدارة البيئة الدولية من خلال الحقوق العالمية المشتركة. ومشيرا إلى أن هذه الآلية الدولية الجديدة قد ظهرت أكثر إلحاحًا فى الضوء المتوهج من نيران حقول البترول فى الكويت، كما ظهرت فى التنافسات الإثنية التى استعادت نشاطها، وأيضا قد ظهرت نتاجاً لتفكك الاتحاد السوفيتى السابق، فضلاً عن الفجوة بين الفقر والغنى، والتى تتسع باستمرار.

ويتسم هذا الكتاب بلغة متجردة جافة إلى حد كبير، ويرتكز على أفكار ومقولات فلسفية، وأيضا عملية، مما كان يستدعى جهداً مضاعفاً فى عملية الترجمة. وأعترف أننى وجدت بعض المصاعب فى ترجمة بعض التفاصيل ولذلك آمل أن أكون بهذا الجهد المبذول فى نقل وترجمة هذا المؤلف، قد تمكنت من تقديم شىء ذى قيمة للقارىء العربى.

وأنتهز هذه الفرصة لكى أتوجه بالشكر للزملاء الباحثين / عبد السلام نوير، وناصر حامد، وسامح راشد، على جهدهم المتميز فى معاونتى لإخراج الترجمة على هذا النحو.

كما أننى أتوجه بالشكر إلى المكتبة الأكاديمية، التى أتاحت لهذا العمل أن يرى

النور فى كتاب منشور، وهذا هو عهدنا بها، وهى مكتبة أكاديمية.

فضلاً عن أننى أشكر أستاذى الفاضل د. محمود إسماعيل الأستاذ ورئيس قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية / جامعة القاهرة، على تفضله بقبول مراجعة هذا الكتاب، وعنايته الفائقة به، والدقة المتناهية التى كان لها الفضل فى ضبط كثير من المفاهيم، وبعض العبارات التى صعبت علىَّ، ولذلك كانت بصمته فى الكتاب واضحة، وهذا هو عهدى به دائما أستاذاً فاضلا، وعطاءً بلا حدود.

وختاماً فإننى أتمنى أن أكون قد وفقت فى ترجمة هذا المؤلف فى أسلوب يتوافق مع قارئنا العربى.

والله الموفق

د. جمال على زهران

القاهرة فى / يناير ١٩٩٨

تقديم لروبرت ماكنمارا

يمكن لأى شخص أن يتحدث عن « نظام عالمى جديد »، إلا أنه فى ضوء الخبرة الدولية، وخلال خمس سنوات متصلة، وبحث مكثف على المستوى الدولى فى الفترة من (١٩٨٦-١٩٩١)، أوضح « هارلان كليفلاند » أسباب الحاجة لنظام جديد، وإمكانات حدوثه. فضلا عما أوضحه من وصف لديناميات هذا النظام، واقتراح حدوده، ونصائحه بشأن التنظيم والقيادة له. وقد وضع « كليفلاند » هذه الأجندة العملية والشاملة، لكى يصبح العالم فى المرحلة التاريخية القادمة، أفضل من المرحلة الماضية، استناداً إلى أن هذا التغير هو تغير سلمى على نطاق واسع.

فالمؤلف ينبه، وأنا أوافقه، إلى أننا نواجه « لحظة مكشوفة » فى تاريخنا العالمى، وهو ما يستلزم ضرورة طرح كيفية استثمار هذه الفرصة التى لامثيل لها.

ويتسم هارلان كليفلاند، بأنه صاحب تجربة غنية، سواء كأستاذ أكاديمى، أو كرجل تنفيذى؛ فقد تمكن من أن يفكر بعمق، ويكتب بإقناع حول ما يقصده بالحياة فى « مجتمع معرفة كونى »، والذى يمكّن كلا من التعليم والتفكير من الحصول على « القيمة المضافة ». وقد استطاع كليفلاند بما توافر له من الخبرة العملية والرؤية الفلسفية، أن يساعدنا على فهم أساليب الزعامة المتغيرة وجوهرها فى « اللانظام » العالمى الجديد.

إن كتاب « ميلاد عالم جديد » يحلل طبيعة المهام الجديدة المتمثلة فى: سياسات الأمن الدولى، والتجارة، والمال، والبيئة العالمية، وأسباب ظهورها. وهو بذلك يطرح

مخططاً لاستراتيجية شاملة لما يجب أن نفعله لاحتواء الصراع، دون حرب، وتنشيط المساومة حول التجارة، ومنع حدوث انهيار عصبى "Nervous breakdown" للنظام النقدى العالمى، وكذلك معالجة أزمة العدالة "Crisis of Fairness" الكامنة، بالإضافة إلى إدارة بيئة دولية، وهو ما أطلق عليها كليفلاند مسمى «حقوق عالمية مشتركة».

ويصف هذا الكتاب أيضًا، أساليب الزعامة فى التشاور والتراضى التى بدأت تحل محل النظم التقليدية فى القيادة والتحكم والإكراه، كما أنه يتنبأ بتغيير متواز فى نظام الزعامة الكونية عن طريق «نادى» أمم مفتوح تتزعمه الولايات المتحدة، غير أنه يتعين على الأمريكيين أن يكيفوا اتجاهاتهم وسلوكياتهم، لقيادة عالم لاتتولاه، أمة بعينها، أو تحالف ما، أو جنس معين، أو طبقة ما.

ولقد تعرَّفت كليفلاند لأول مرة فى واشنطن فى ظل رئاسة جون كينيدى، عندما كنت وزيرا للدفاع، وكان هو مساعد وزير الخارجية لشئون الدبلوماسية متعددة الجوانب، والمتعلقة بما يجب عمله، وكيفية عمله فى الأمم المتحدة، وكذلك ما يتعلق بشئون خمسين منظمة دولية أخرى تنتمى إليها الولايات المتحدة. كما تلاقينا كثيرا فى البيت الأبيض، وقد حاولنا أن نفهم، وأن نُقيِّم أفكار وأفعال الأمم الأخرى من الصين وكوريا إلى كوبا والكونغو، والشرق الأوسط بمشاكله المزمنة والشديدة التفجر، فضلا عما تناولناه من مختلف أزمات الأمن والسلام التى تسببت فيها هذه الأمم، والتى يمكن أن نجد مفاتيح فهم ردود أفعالها فى سياسات «الجدل البيزنطى العقيم»، التى ملأت ردهات الأمم المتحدة فى نيويورك.

وقد تمتع «هارلان كليفلاند» بمصداقية كبيرة، اكتسبها من الجوانب العملية للدبلوماسية متعددة الجوانب، بإيجابياتها وسلبياتها، حدت - فيما بعد - بالرئيس ليندون جونسون، إلى أن يعينه سفيراً للولايات المتحدة لدى حلف الأطلنطى ليصبح العضو الأمريكى التنفيذى فى هيئة إدارة الحلف. ونظرا لقدرته على التفكير فى القوة

العسكرية والسياسات الدولية كوجهين لعملة واحدة، فقد طلب منه الرئيس نيكسون، عندما جاء إلى السلطة، البقاء فى منصبه لفترة انتقالية بلغت نحو نصف العام تقريباً.

وفى أواخر الستينيات، عندما أصبحت مسئولا تنفيذيا فى عمل مختلف جداً كرئيس للبنك الدولى، وجدت أن هارلان كليفلاند، لديه أيضا الخبرة فى إدارة المعونة للدول النامية؛ إذ إنه نجح بعد الحرب العالمية الثانية فى إدارة جهود الأمم المتحدة الواسعة النطاق فى الإصلاح والمعونة فى كل من إيطاليا والصين، ليعود إلى واشنطن فى عام ١٩٤٨، حيث أدار المعونة المقدمة إلى الصين، ثم باقى المعونات الخارجية للولايات المتحدة فى الشرق الأدنى. وبحلول عام ١٩٥٢، أصبح هارلان كليفلاند مسئولا، باعتباره مديراً مساعداً لشئون أوروبا فى وكالة الأمن المشترك، عن إدارة هذه المعونات فى واشنطن، عن العام الرابع من برنامج خطة مارشال، ذات الأعوام الأربعة، لإعادة بناء أوروبا.

بدأ كليفلاند يكيف نفسه مع عمل بديل كعالم وكاتب فى السياسات الدولية، والعلاقات الاقتصادية الدولية، والإدارة العامة. ومنذ ذلك الحين، فقد وزع وقته – مناصفة تقريبًا – بين قيادة ورئاسة جامعة، والتفكير الجاد فيما يتعلق بالإدارة والقيادة داخل الولايات المتحدة وخارجها. ويعتبر هذا الكتاب «ميلاد عالم جديد»، الكتاب الحادى عشر الذى قام بتأليفه.

إن أولئك الذين ينجحون فيما يكلفون به من مهام، وكذلك أولئك الذين يفكرون بجدية حول ما يمكن القيام به، وكيفية القيام بذلك، هم أناس قليلون، والأكثر قلة منهم هم أولئك الذين يمكنهم التعبير عن ثاقب بصيرتهم. وقد يعتبر ما يغطيه هذا الكتاب شاملا، وعلى نحو غير عادى، كما أن قدرة كليفلاند على التعامل مع الموقف جاءت هى الأخرى على نحو غير عادي. فقد ناقش هذا الكتاب القضايا السياسية المعقدة

مثل: (ضبط التسلح، والمناخ العالمى، والنظم النقدية الدولية)، وذلك بطريقة سهلة وسلسة.

« ... نحن نتطلع لشيء ما جديد فى التنظيم والهيكل والمفهوم» هكذا قال فاليرى جيسكار ديستان - الرئيس الفرنسي الأسبق - منذ فترة ليست ببعيدة، بيد أن الغريب أنه حتى هذه اللحظة لم يوجد المفكر الذى يمكنه أن يقترح طريقًا ممكنًا لذلك».

سيدى الرئيس، يجدر بسيادتكم أن تقابلوا مؤلف هذا الكتاب.

(روبرت. س. ماكنمارا)

واشنطن دى . سى

يناير ١٩٩٣.

مقدمة المؤلف

«إن لدينا من القوة ما يمكننا من أن نعيد بناء العالم مرة أخرى. فلم يحدث، منذ عهد نوح حتى الآن، موقف مشابه لما هو عليه الحال في الحاضر، إن ميلاد عالم جديد أصبح الآن بأيدينا».

لقد كتب توماس بين Thomas Paine ذلك، عام ١٧٧٥م. ولدينا اليوم كل الحق بأن نشعر بأننا نشهد مرة أخرى ميلاداً لعالم جديد. ونظرا لأن جهودنا الماضية قد أسهمت في ظهور هذا العالم الجديد، فإن علينا مسئولية ما يحدث من خيارات وفرص جديدة في التسعينيات وما بعدها.

إن هذه اللحظة مكشوفة جداً في تاريخ العالم؛ فآخر فرصة تاريخية لتغيير النظام العالمي – والتي لاتكاد تقارن بأيامنا هذه – بدأت عام ١٩٤٥، الذي بدأت فيه حياتنا الحقيقية، حيث لم يكن أطفال اليوم هم أنفسهم الذين ولدوا وقتها. إن تلك البداية الجديدة أنتجت ميثاق الأمم المتحدة، وحررت بليون شخص من الحكم الاستعماري، وأحدثت طفرة في اقتصاديات أوروبا الغربية واليابان، ونظمت حقوق الإنسان عالميا، وأطلقت فكرة معونة التنمية للدول الأفقر، وأنشئت تحالفًا ديموقراطيًّا غير مسبوق، في وقت السلم.

وفي الصين القديمة، والتي تعتبر نموذجاً للاحتذاء، يقولون:

«ربما تعيش في أوقات ممتعة أو مسلية».

حيث يعتقد قدامى وكهول الشيوعيين، أن هذا التفكير الصيني القديم يبدو

محاصراً، كما ظهر في اجتماع لنفر من الناس في مايو ١٩٨٩، وجدوا أنفسهم يدركون الطريق الصعب، والذى يجب على الجماهير بالتالى أن تدركه، بكيفية أو بأخرى، الأمر الذى يدفع بهم إلى الاهتمام بالسياسة آجلا أو عاجلا.

إن الانتشار السريع للمعرفة في الثمانينيات، والذى بلغ الذروة بما يعرف بـ «سنوات الديموقراطية»، لم يفاجىء القادة الشيوعيين فقط، وإنما فاجىء أيضاً جيلاً من الخبراء في إدارة العلاقات الدولية في العالم غير الشيوعى نظرًا لسقوط خياراتهم المفضلة، وأنماط تفكيرهم بصورة مفاجئة؛ إذ لم يعد بمقدورهم عند تحليل هذه الأوضاع الجديدة؛ الاعتماد على الوضع الفكرى الشامل الذين قاموا بطرحه أو تعلموه، والذى قصر مفهوم السلام على اعتباره مجابهة تحالفات عسكرية تعتمد على الرعب المتبادل بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى. فضلا عن اعتبارهم أن التقدم يعنى استخدام كل اختراع تكنولوجى جديد مع تسخير الطبيعة لخدمة البشرية. كذلك فهم يعتبرون كلا من «النمو والتوازن» هدفين مزدوجين للنشاط الاقتصادى، وأن التنمية هى نتاج التعاملات بين الدول والمساعدة الخارجية.

وعلى حين فجأة بدت مجرد فكرة القوة العظمى القائمة على تملك المخزونات الضخمة من الأسلحة القابلة للاستعمال، باهتة – على الرغم من خطورة القوة التفجيرية الهائلة التى لازالت قائمة وبصورة فجائية أيضا – فإن حلف وارسو لحق بحلفى سياتو "SEATO" (جنوب شرق آسيا)، والسنتو "CENTO" (الحلف المركزى)، وغيرها من التحالفات الأخرى التى استهدفت خلق النظم التابعة لقوة كبرى، وكذلك اندفاع حلفاء شمال الأطلنطى، نتيجة انتصارهم، حيث وجدوا بطريقة عقلانية أنهم يجب أن يظلوا معًا؛ من أجل التعامل مع الأوضاع غير المستقرة في الشرق والجنوب للمحيط الدفاعى التقليدى (الأطلنطى). كذلك فإنه بصورة فجائية – في ظل البيئة المعرفية الجديدة – تلاشى منطق النمو الكمى، كما فرضت الاستياءات الواسعة الانتشار والناجمة عن عدم العدل، قيام نظام اقتصادى عالمى، يتوفر له ضمير اجتماعى، أكثر من اعتماده على

مسألة التمويل والبنوك التى أسسها الاقتصاديون لتحقيق التوازن. كما فرضت ردود الفعل العنيفة من جانب الطبيعة بصورة مفاجئة كذلك نتيجة الأخلاقيات الأيكولوجية التى ظهرت من ناحية الإنسان، أنه لا مفر من إعادة التفكير فى تأثيرات النشاط الإنسانى على البيئة الطبيعية، وكذلك الحاجة إلى اختراع وسائل جديدة للتحكم الذاتى فى الإنسان.

ومن أجل هؤلاء الذين يرون، ويقرأون أخبار العالم، وهم مبتهجون بطريقة التغير، فإن هذه «الأوقات الممتعة»، هى بمثابة الموعد العظيم الذى يستحق أن نعيش فيه؛ فنحن نرى الشعوب التى قيدها الحكم المطلق، وكذلك المحنة التى عاشوها، قد وجدت نفسها فجأة، أن من حقها الاختيار، إذا ما أصرت عليه.

كما أنه من أجل الشعوب العديدة التى تبنت الديموقراطية منذ عام ١٩٨٩، فإن مهام الحكم الذاتى أصعب من البراكين الغاضبة التى تقود إلى هذه الديمقراطية. (ويجب أن نتذكر أن الفرنسيين طوال قرن ونصف من الزمان يحاولون تحويل ثورتهم إلى ديموقراطية مستقرة) ومن ثم فإنه بعد هذه التغيرات من عام ١٩٨٩ إلى عام ١٩٩٢، فإن العالم لم يعد هو نفسه.

ويعتمد تقدير الأمر على ما إذا كانت هذه الحقبة التاريخية ستكون نعمة أو نقمة، على ما تفعله الملايين منا فى مختلف الثقافات، وفى أجزاء متفرقة من العالم، من أجل أن نبنى معًا حضارة سوف «تحقق التقدم الاجتماعى، ومستويات حياة أفضل فى سياق حرية أوسع»، وذلك طبقًا لما وضعه ميثاق الأمم المتحدة.

هدف الكتاب وجمهور القراء

إن كتاب «ميلاد عالم جديد»، له هدفان: الأول: هو إيجاد طريقة متفائلة للتفكير حول ذلك الوقت غير الطبيعى الذى نعيش فيه. وفى جملة مبسطة وشاملة، فإن المفتاح لكل الأحداث المفاجئة حولنا، هو «انتشار المعرفة»، أى التوسع بسرعة فى التعلم،

وأيضا النمو السريع فى أعداد الناس المتعلمين، إضافة إلى الزيادات السريعة فى دوران المجلة والصحيفة بين القراء والمستمعين للراديو، والمشاهدين للتليفزيون. أما الهدف الثانى فهو أننى أقترح - انطلاقًا من السنوات الخمس من «إعادة التفكير» فى الوقت الذى كانت السياسات العالمية تتحول فيه رأسًا على عقب - برنامجًا ذا قيمة يتضمن كيفية استثمار هذه اللحظة المفتوحة من الثورة والتمرد على النطاق العالمى لمعظم الأشياء المفيدة، وذلك تلبية للأهداف والحاجات البشرية.

وهذا الكتاب موجه لكل إنسان يركز على حالة أو أوضاع عالمنا، ويرغب فى أن يساعد فى تشكيل مستقبل إيجابى. ومثل هذا الإنسان وغيره، نجدهم فى الحكومة وفى الشئون الدولية، وأيضًا بين رجال الإدارة العامة الحاليين والمستقبلين، وأعضاء الجهاز التنفيذى، والأفراد المتواجدين فى المشروع الخاص، والوكالات التى لا تهدف إلى تحقيق ربح، وأى شخص يريد أن يساعد فى صياغة العالم الجديد الذى يولد الآن، عن طريق «الانتخاب والحب والتخطيط فى القمة».

خلفية هذا الكتاب

فى ربيع ١٩٨٦، عندما كان حائط برلين لازال صلدا أو قائما، كان المنشقون لايزالوا يصرخون فى الخلاء، كما أن عصابة الأربعة فى الصين كان لها وجود فى الذاكرة، ولذلك قمت بوضع خطابات فى صندوق البريد إلى ٢٤ شخصًا من الأشخاص المبدعين بصفة خاصة، (فى أمريكا الشمالية، وأوروبا، وأمريكا اللاتينية، وأفريقيا، وآسيا، والباسفيك). وكانت هذه الخطابات بمثابة دعوات للاشتراك فى مجهود غير حكومى ودولى، وطموح لـ «إعادة التفكير فى الحكم الدولى».

وقد اقترحت فى خطاب دعوتى بالاشتراك مع ثلاثة زملاء هم: (لينكولن بلومفيلد، وجيرى جوزيف، وماجدة ماكهيل)، أنه من الممكن أن «نفحص معًا النظام الدولى ككل، سواء فى أجزائه المختلفة، أو علاقات كل جزء بالأجزاء الأخرى». كما تم الافتراض

بأن نقول لمراسلينا حول العالم إننا قد اتفقنا فيما بيننا بأن نكون « جماعة دولية للتخطيط لما بعد الحرب »، فى وسط حرب كبيرة، أو أزمة دولية. وقد ثار تساؤل فى هذا الصدد، وهو: ألا يمكن أن نشعر بأننا مجبرون أن نتجاوز سماتنا الصعبة، وأن نفكر عالميا حول نظام دولى يتسع للأمن، والتنمية، والإدارة الاقتصادية، وحقوق الإنسان ومسئولياتها، واختلاف الثقافات، وهجرة الشعوب، وكذلك حماية البيئة العالمية؟

وقد تركزت المشكلة أساسًا، فى أن الحضارة الإنسانية لم يكن بوسعها آنذاك أن تطرح الحرب كدافع قوى للتفكير الصعب حول السلام. لذلك فإنه فى اجتماعنا الأول فى نوفمبر ١٩٨٦، اتفقنا على أن نتجرأ، ونعمل على « التخطيط لما بعد الحرب دون وجود الحرب أصلاً ».

وبشكل مدهش... فقد وجدت قبولا من كل شخص دُعِىَ لهذه المناسبة، بحماسة منقطعة النظير، على الرغم من أننا لم نكن قادرين على توفير تكاليف الاستشارة، ولكن استطعنا أن نقدم فقط تكاليف السفر، وأن نوفر جوًّا من التجانس بين المشتركين، مع فرصة مثيرة لإعادة التفكير فى البرنامج؛ من أجل تغيير سلمى فى عالم عاصف.

وعلى أساس ما لدينا من خبرات كاملة فى التعامل على المستوى الحكومى، والمستويات البينية للحكومة، ومع الحكومات ذاتها، فإننا قررنا بأن الحكومات، ولجانها لا تتوقع إمكانية بدء هذا النوع من إعادة التفكير بشكل رئيسى أو فرعى، وأن التوقع فى أوقات الأزمات الحادة ككساد ضخم أو مجرد حرب، يجعل زعماء الحكومة مسئولين –وإن كان بشكل غامض أيضاً– عن الأشياء، كما لو كانوا قد أخذوا المسئولية من أجل تغيير نظام الدستور.

وقد راهنّا آنذاك، على أن يتم الاجتماع لهذا الغرض، من كل أنحاء العالم، وتحت الرعاية غير الحكومية، وانطلاقًا من الحكمة والفلسفة الخاصة بهذا الموضوع، وكذلك المفكرين الممارسين الذين يمكن لهم أن يعملوا معًا بلا قتال، لأنهم لا يحملون على

عاتقهم مسئوليات وظيفية، وذلك كله بهدف أن يتم وضع نظام للتغيير السلمى يتسم بالمعقولية، وقابلية التطبيق.

وعندما بدأنا العمل فى منتصف الثمانينيات، لم نكن نتصور أن كلا من الزميلين السوفيتى والصينى يمكنهما أن يلعبا مجرد مباراة مفتوحة وبصورة واسعة، كما وافق اثنان من الأوروبيين الشرقيين (رومانى ومجرى) على الاشتراك بجوار مفكرين من بلجيكا، وكندا، وشيلى، وكولومبيا، ومصر، وفرنسا، والهند، وأندونيسيا، وإسرائيل، وجامايكا، واليابان، وكينيا، وكوريا الجنوبية، والمكسيك، وسنغافورا، وإسبانيا، والسويد، وسويسرا، وأوغندا، وبريطانيا، والولايات المتحدة.

وبشكل جماعى، وعلى امتداد (٤) سنوات فإن ٣١ شخصاً من هذه الدول الأربعة والعشرين كانوا أعضاء ما يسمى ببساطة: «**المجموعة**»، والتى كان يعاونها مجموعة من المستشارين وثيقى الصلة بالهدف الذى نسعى إلى تحقيقه يبلغ عددهم ١٢ مستشاراً، وآخرين كثيرين، شاركوا فى ذلك بالمساعدة فى عمليات الاستماع والقراءة، وإعادة الصياغة والكتابة، وفقًا لبرنامج عملنا واستمراريته. (وكانت الطريقة المتبعة، هى أننا بدأنا مهمتنا النابعة من ذاتنا بقائمة من الاجتماعات الدولية التى عقدت، وكذلك بقائمة من المشاركين فى كل جزء من المشروع، وقائمة من الأعمال المنشورة التى تم إنجازها فى سياق نظام العمل، وهذا كله ما تم إيضاحه فى الجزء المعنون بـ «أصل الكتاب»، والذى جاء موقعه فى نهاية هذا الكتاب).

إن كثيرا من التشخيص الذى ورد فى الفصول الأولى من هذا الكتاب، ومعظم التوجيهات أو المقترحات التى تلتها فى الفصول التالية هى نتاج التفاعل المكثف مع هذه الشبكة الدولية من الزملاء الأفاضل المتحفزين. ففى اجتماعنا الكامل والأخير معًا -والذى عقد فى برشلونة فى أكتوبر ١٩٨٩- وبالطريقة نفسها التى تهاوت بها كل الحوائط عبر كل أوربا الشرقية، قرر أعضاء المجموعة أن يصدروا «بيانا جماعيا» يمكن أن يتم المغامرة به أيضا، باختصار وفى صورة دقيقة، وذلك بهدف إقامة العدالة بما يتوافق

مع عمق واتساع عملنا معا. كذلك اقترحوا أن أكتب رؤيتى الخاصة للاستراتيجيات، والأبنية التى قد ناقشناها. وقد قبلت هذه المهمة، مع بعض التحفظ، لسببين هما: الأول أننى أعرف الصعوبة فى إمكانية أن أكتب، والثانى أن كثيرا مما يمكن أن أكتبه لن يكون تعبيرا صادقًا تمامًا عما يراه الآخرون.

وبحلول عام ١٩٩٠، حيث كان الحماس للاختيار السياسى ينتشر مع انتشار المعرفة حول العالم، فإن ما كان يبدو ضخمًا فى منتصف الثمانينيات – باستثناء بعض الممارسة الأكاديمية التى قد أشارت بشكل مفاجئ إلى كل ما هو عاجل وملائم أو فرصة سانحة يجب استثمارها– جعلنى أرى أن ما أكتبه هو كتابة من حائط متحرك؛ فصفحات التاريخ كانت تتغير عن طريق هؤلاء أنفسهم، الذين أصبحوا متحمسين للاختيار السياسى.

ومع استكمال المسودة الأولية تمامًا، تفجرت أزمة الخليج، وأصبح صدام حسين اسما مألوفا، وأصبح مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة يعمل بانسجام من أجل الأمن الجماعى الضخم نتيجة هذا الحدث، كما أصبح يعمل بانسجام بين كل الأعضاء الدائمين بالمجلس على وجه الخصوص، وذلك للمرة الأولى فى السنوات الخمس والأربعين التى تلت توقيع الميثاق.

وقد اكتشفنا أن «تخطيطنا لما بعد الحرب» كان عليه أن يأخذ فى اعتباره الحرب الإقليمية الأولى للحقبة الجديدة التى يعيشها العالم وتداعياتها غير المعروفة، دون أن يقتصر فى تركيزه على الحرب الباردة التى تبددت بسرعة جداً فقط، أو الحرب النووية التى لم تكن مطروحة من قبل، كما أن الهويات الثقافية المشتتة، والسياسات الجديدة للانفصال، والإدراك الحديث حول ما فعلته التصرفات الإنسانية بالبيئة الدولية، وكل هذا قد تحدى –فى الوقت نفسه– افتراضنا المأمول من البداية، والذى انبنى على أساس أن هناك احتمالاً أكثر بأن تؤدى المعرفة إلى ضم الشعوب معًا أكثر من تفريقهم.

ونتيجة لإعادة الكتابة فيما بعد، فإننى وجدت تعضيداً أكثر لفلسفة التعاون الدولى، والتى برزت من خلال عملنا معًا، كذلك فقد ازداد التأكيد بأن الانتشار العالمى للمعرفة هو الحركة الأساسية فى الاندفاع السريع للأحداث الجارية، وهو ما كان يتفق مع شعورنا، رغم بعض القلق الذى ظهر مع تدافع الأحداث فى البداية.

إن تحليلنا لكيفية انتشار تكنولوجيا المعرفة، والمعلومات، قد اندمج آنيًا بداخل كل واحد منا، مع التصنيفات التقليدية المسماة بـ: الأمن، والاقتصاد، والتنمية، والبيئة، والقيادة، والتى ظهرت بصورة أفضل فى بداية التسعينيات عما كانت عليه طوال الثمانينيات. كما أننا حددنا وظائف المستقبل على النطاق الدولى باعتبارها تفكيراً جديداً مطلوبًا، كما ظهرت الآلية الدولية الجديدة أكثر إلحاحًا فى الضوء المتوهج من نيران حقول البترول فى الكويت، كما ظهرت فى التنافسات الإثنية التى استعادت نشاطها، وكذا تفكك الاتحاد السوفيتى السابق، بالإضافة إلى الفجوة المتسعة باستمرار بين الفقر والغنى.

عرض المحتويات

إن الفصول الخمسة الأولى من هذا الكتاب «ميلاد عالم جديد» تتناول وصف موجات التغيير العارمة مما يجعلها أشبه بالمحاولة الثالثة لهذا القرن، والتى تبحث عن تنظيم دولى جديد فى عالم مضطرب، باعتبار أن عصبة الأمم والأمم المتحدة المرتبطتين بفترة الحرب الباردة، هما المحاولتان الأولى والثانية.

ففى الفصلين «**الأول والثانى**»، تم تناول كيفية انتشار المعرفة فى إطار مزايا الاختيار السياسى، وكذلك الثورة العادلة على نطاق دولى واسع، والتى أطاحت بالشمولية رأسا على عقب.

أما الفصل الثالث: فقد نبه إلى أن النموذج الغامض والمسمى بـ«النظام الدولى» لايمكن أن يكون مجرد دولة قومية على نطاق دولى واسع، بل إنه فى الحقيقة، انتقال

السلطة التدريجى إلى المدن من خلال الحكومات نفسها، وإلى المجتمعات القومية الفرعية الأخرى، وإلى الجمعيات والمؤسسات الانتقالية، وأيضا إلى مجموعات من الحكومات، قادرة على التأثير فى الطموحات والمخاطر.

وطبقا لما تم إيضاحه بإسهاب **فى الفصل الرابع**: فإن العمل فى التعاون الدولى قد طرح نماذج وظيفية متماسكة من أجل السلام، وعلى طريق تحقيق المصلحة المشتركة والقوة المهيمنة، وأن هذا يتم بتأثير تكنولوجيات الإعلام الحديث.

أما الفصل الخامس: فإنه يوضح، فى إطار ما سبق، بعض الخطوط الإرشادية السياسية والأخلاقية للترابطات القادمة فى إدارة عملية السلام.

أما ما يلى ذلك، فهو تحليل جديد، ومجموعة من الدعاوى عن الأمن الدولى، والاقتصاد الدولى، والتنمية الدولية، والعموميات البيئية العالمية، على النحو التالى:

* التحكم فى الأسلحة المثيرة (النووية والكيماوية والبيولوجية)، (الفصل السادس).

* اختيار ونشر «المحايدين الفاعلين» كقوى للسلام، وحراسٍ له، وصانعين فى الوقت نفسه، (الفصل السابع).

* تنظيم التجارة الحرة بشكل ملائم، والتكنولوجيات المشتركة، وإدارة الأموال المتاحة، والتحرك نحو استقرار أفضل للعملات العالمية (الفصل الثامن).

* بناء نظام دولى لتحسين «النمو مع العدالة» فى الدول النامية، ووضع المعايير، وعقد الصفقات لمواجهة الاحتياجات الإنسانية الأساسية، وتوظيف فرصة الدين الضخم المتاح، واختراع الوسائل لاستثمار الضرائب، كبديل للمعونات، وذلك لتطوير وسائل التمويل الجديدة من أجل التنمية (الفصل التاسع).

* استغلال فكرة «الوصاية» الموجودة بالفعل فى ميثاق الأمم المتحدة لإدارة السلوك الإنسانى فى المناطق المشتركة على المستوى العالمى، كالمحيطات، والغلاف الجوى،

والفضاء الخارجى، والقارة غير المأهولة فى القطب الجنوبى «أنتاركتيكا»، والبيئات المشتركة، حيث لا يبدو أن قوانين الحرب أو تقاليد اقتصاديات السوق، مفيدة للعمل التعاونى بهذه المجالات (الفصل العاشر).

* من يستطيع أن يقود، ويحكم، ويدير عالما، ليس به شخص مسئول؟ هذا هو السؤال الرئيسى للفصل الحادى عشر، لذلك فإنه يوجد مركز نادى الديموقراطيات، باعتباره ناديًا مفتوحًا على المستوى الداخلى، وممتداً فى عضويته عن طريق الإجماع. وهذا النادى ليس مجرد منظمة دولية، حيث إنه دون سكرتارية أو مركز للقيادة، وليست لديه كذلك الممارسة أو التجربة لما اعتاد عليه حلفاء تنظيم حلف الناتو أن يطلقوا عليه عادة «**الاستشارية**»، ولذلك فإن الوصف الأمثل له: (إم. أى. تى – M. I. T)، وهو ما ورد فى عبارة البروفيسور (لينكولن بلومفيلد)، «تحالف لكل من يرغب». وفى سنوات الصعود، فإن الولايات المتحدة وحدها هى التى كانت فى وضع يسمح لها بأن تخدم باعتبارها «رئيسة اللجنة التنفيذية»، إذا ما استطاعت أن تدير شئونها الخاصة جيداً، لكى تأخذ زمام القيادة مرة ثانية فى بناء مجتمع عالمى.

إننى لا اعترض النص بملاحظات، ولكن الجزء الخاص المعنون بـ «المصادر، والملاحظات، والتعليقات»، يحتوى على معلومات ومراجع موثقة، وهى المصدر للأفكار المتعددة، والكتب، والمقالات، التى تطرح نقاشا ساخنا، ومصدراً أيضا لمن قال، أو كتب بعض التعليقات الحادة بصفة خاصة. وقد تم تنظيم هذا الجزء بترتيب الفصول، وداخل كل فصل أمكن ترتيب الملاحظات بالنظام نفسه، حيث إن النقاط الموجودة فى المتن، هى التى تم إدراجها.

والآن، مع مزيد من التنازل عن الأساليب المعهودة، فقد أخذت بنصيحة «المجموعة» بشكل ضخم، وكتبت هذا الكتاب دون الآخرين. إلا أننى أأمل وأعتقد أن ما كتبته يعكس عديداً من أو معظم آرائهم، كما أنه بالتأكيد استند – بشدة – إلى حقائقهم وأفكارهم. فالمسودة الأولية قد أرسلت إلى كل الأعضاء الأحياء من «**المجموعة**»، وأيضاً

إلى عدد من المستشارين الخصوصيين الذين ساعدونا خلال العمل. وقد كانت النتيجة تدفق تعليقات نافذة البصيرة، وهى التى أسهمت بدورها فى دعم الكتابة النهائية بمزيد من القوة والدقة.

ومع ذلك، فإننى أطرح مشروعات عديدة من أجل التغيرات التى حدثت فى النظام الدولى، وعلىَّ تقع المسئولية فى المعالجة، من خلال من أقر لهم بالفضل من الزملاء الكثيرين الذين شاركوا فى الفرصة التى سنحت لهم، فكان هذا العمل نتاجًا لإقدامهم، وما تحملوه من أعباء تؤكد أنه قام على أكتافهم.

مينيابوليس، مينيسوتا: **هارلان كليفلاند**

يناير ١٩٩٣

المؤلف فى سطور

هارلان كليفلاند، عالم سياسى، وتنفيذى عام، وهو رئيس الأكاديمية الدولية للعلوم والفنون، ورئيس فخرى لجامعة هاواى. كما كان عميداً مؤسسًا لمعهد هيوبرت. هـ. هامفرى للشئون العامة التابع لجامعة مينيسوتا، ثم أصبح أستاذًا متفرغًا فى عام ١٩٨٨.

وأثناء الحرب العالمية الثانية، عمل كليفلاند كمحلل اقتصادى فى فريق الحرب الاقتصادية، ثم كمدير تنفيذى للقسم الاقتصادى لهيئة التحكم، للحلفاء فى إيطاليا. وقد ظل فى روما بعد الحرب، وشغل موقع مساعد رئيس بعثة لإدارة إعادة التعمير والإسعاف التابعة للأمم المتحدة (UNRRA).

وفى عام ١٩٤٧ أصبح المدير الأخير لمكتب الصين الخاص بهذه البعثة، والذى أقيم فى شنغهاى. ومن عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٥٣، كان مسئولاً عن خطة مارشال فى واشنطن، والمؤسس الأول لشعار برامج المساعدة الخارجية فى الشرق الأقصى، ثم عمل كمدير مساعد لوكالة الأمن المشترك التابعة للولايات المتحدة فى أوروبا فى الفترة من ١٩٥٢ – ١٩٥٣، وفى عام ١٩٥٣، أصبح المحرر التنفيذى، ثم الناشر لمجلة «ريبورتر». وفى عام ١٩٥٦، تم تعيينه عميدا لمدرسة «ماكسويل للمواطنة، والشئون العامة» فى جامعة سيراكيوز.

وخلال الستينيات، عمل كليفلاند كمساعد وزير دولة لشئون التنظيم الدولى فى إدارة الرئيس «چون ف. كينيدى»، وكسفير للولايات المتحدة لدى حلف الناتو (NATO)، تحت رئاسة (ليندون ب. جونسون). كما كان رئيسا للجنة الوزارية للتعاون الدولى عام ١٩٦٥. كذلك تولى رئاسة جامعة هاواى من ١٩٦٩ – ١٩٧٤. ومن عام